الفائز الثالث:

بناءُ العلاقةِ السليمة
بين الموظفِ ووظيفته

(دراسةٌ في ضوء عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه)

Building a Healthy Relationship between the Employee and his Job

A Study in Light of the Covenant of
Imam Ali (PBUH) to Malik al-Ashtar (PBUH)

د. أركان حسين زيدان التميمي

Dr. Arkan Al-Tamimi

كلية الإمام الكاظم عليه السلام للعلوم الإسلامية الجامعة

Imam Al-Kadhim (PBUH) College of Islamic Sciences University

arkanhussein@alkadhum-col.edu.iq

الملخص

لا شكَّ أنّ وضع وثيقة تعالج أنظمة الحكم والإدارة بصورة موضوعية شاملة ودقيقة، وتؤشّر على مفاصلها المؤثرة، وتفاصيلها الدقيقة، في هذا الزمن ليس سهلًا على مؤسسات مختصّة، فكيف إذا كتبت في زمان ومكان لم يعرف أولويات الحكم والإدارة، بالتأكيد أن ذلك يدلّ بوضوح على المواهب الربانية والملكات الفريدة التي حظي بها أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام، وأتت الوثيقة الإدارية التي كتبها لمالك الأشتر رضي الله عنه وعُرفت بعهد مالك الأشتر.

وفي ظل التثقيف الإداري المكثّف الذي حفل به العهد، وتناولُه لبناء نظام إداريٍّ نزيهٍ ورصين، نرى مجموعةً من الإرشادات العَلَوية التي من شأنها أن تبني علاقةً سليمةً ناجحة بين الموظف وموقعه الوظيفي، وتهدف إلى إشاعة التعامل الصحيح والنظرة السليمة للمناصب، فمن إتقان اختيار الموظف الكفوء، وعدم المحاباة والمجاملة في ذلك، يقول عليه السلام له: "ثُمَّ اُنْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمُ اِخْتِبَاراً، وَلاَ تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً، فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ اَلْجَوْرِ وَاَلْخِيَانَةِ"، إلى تربية الوازع الذاتي كمصدٍ هو الأهم أمام إغراءات المنصب وإغواءات الموقع، قال عليه السلام في عهده للأشتر رضي الله عنه: "فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ وَاللهُ فَوْقَ مَنْ وَلاكَ وَقَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ، وَابْتَلاكَ بِهِمْ". مع عدم إهمال المراقبة الشعبية والحكومية، بغية رصد كيفية تعامل المسؤول مع مسؤوليته، ومن شأن هذا أن يجعل المسؤول في معرض السؤال دائماً، ويكون أداؤه في مرأى ومسمع الجهات العُليا في الدولة، قال عليه السلام: "وَابْعَثِ اَلْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ اَلصِّدْقِ وَاَلْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي اَلسِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُم عَلَى اِسْتِعْمَالِ اَلْأَمَانَةِ وَاَلرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ"[1].

من هنا وقع اختياري على هذه الزاوية من عهد الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، لتكون محلًا للدراسة والبحث تحت عنوان: (بناءُ العلاقةِ السليمة بين الموظفِ ووظيفته – دراسةٌ في ضوء عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه)، يُعالَجُ فيه بعد استعراضٍ للعهد تعريفًا به، ووقوفًا على مصادره وأهميته، كلُّ ما يرتبط ببناء علاقة نزيهة وقويمة بين الموظف ووظيفته، ولا شك أنّ في ذلك إحكامًا للنظام الإداري، وتحصينًا له من الفساد المُهلك.

كلمات مفتاحية: الإمام عليّ عليه السلام، عهد، مالك الأشتر، الموظف، التوظيف، المعايير.

(١) نهج البلاغة، الكتاب رقم: (٥٣) عهد مالك الأشتر رضي الله عنه، وبقية النصوص كذلك.

Abstract

There is no doubt that the preparation of a document that addresses the systems of governance and administration in an objective, comprehensive and accurate manner, and indicates its influential joints and precise details, in this era is something that specialized institutions fail to do. So how about if it was written in a time and place that did not know the priorities of governance and administration? Certainly, this clearly indicates divine gifts. And the unique talents that the Commander of the Faithful, Ali (peace be upon him), enjoyed.

In light of the intensive administrative education that the era was full of, and its approach to building an honest and solid administrative system, we see a set of superior guidelines that would build a sound and successful relationship between the employee and his job position, and aim to spread correct treatment and a sound outlook on positions. From mastering the selection of a competent employee, And not showing favoritism and courtesy in that regard, he (peace be upon him) said to him: "Then look into the affairs of your workers and employ them as a test, and do not give them favoritism or favoritism, for they are a group of unjust people." And betrayal," to raise self-control as the most important buffer against the temptations of position and temptations of position, he said (Peace be upon him) in his covenant with Al-Ashtar (may God be pleased with him): "You are above them, and the ruler over you is above you, and God is above those who appointed you, and their affairs have sufficed you, and He has tested you with them." Without neglecting popular and governmental monitoring, in order to monitor how the official deals with his responsibility, and this would always make the official in question, and his performance would be in the full view of the highest authorities in the state. He (peace be upon him) said: "And send eyes upon them from the people of honesty and loyalty."

Your confidential commitment to their affairs is an example to them of using honesty and kindness to the subjects".

Hence, I chose this corner of the era of Imam Ali (peace be upon him) to be a subject of study and research under the title: (Building the proper relationship between the employee and his job - a study in light of the era of Imam Ali (peace be upon him) by Malik Al-Ashtar (may God be pleased with him)). It will be treated After reviewing the covenant, defining it, and examining its sources and importance, it includes everything that is related to building an honest and strong relationship between the employee and his job. There is no doubt that this is a tightening of the administrative system, and a protection for it from deadly corruption.

Keywords: Imam Ali (peace be upon him), era, Malik Al-Ashtar, employee, financial corruption, administrative corruption

المقدمة

الحمد لله تعالى شأنه وجلّت آلاؤه، والصلاة والسلام على نبيِّنا المصطفى محمدٍ ﷺ وأهل بيته الأطهار، وبعد: أختصر التقديم لبحثي الموسوم بـ(بناءُ العلاقةِ السليمة بين الموظفِ ووظيفته، دراسةٌ في ضوء عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه) على التعريف بهذا البحث، أهميةً، ومشكلةً، وسابقةً، وخطةً، ومنهجًا، تاركًا للقارئ الكريم الوقوف عند محاسنه، واغتفار هفواته، ويكفيني اعتزازًا أنّي عشتُ أوقاتًا ثمينة في رحاب العهد العَلَوي الفاخر، محاولاً أن أطالعه بتمعن وتركيز، واستخرج من دُرر نصوصه ما أرصّع به عِقْدَ البحث وقلادةَ الدراسة.

أهمية البحث:

عهدُ الإمام عليٍّ عليه السلام لمالك الأشتر (رضوان الله تعالى عليه) دستورٌ مهمٌّ، تأتي أهميتُه من مضامينه العالية، ومفاهيمه السامية، ومن أسلوبه الأخّاذ الآسر، وليس غريبًا أن يأتي العهد العَلَوي متكاملاً شكلاً ومضمونًا، إنّه رؤية الإنسان الكامل التي تتشابك فيها وتتمازج القيم الأخلاقية النبيلة مع التعاليم الإدارية، تنعجن فيه الروح الإنسانية الكبيرة مع إدارة مفاصل الدولة المختلفة.

رغم أنّ العهد ولد في زمانٍ معين، وفي مناسبة معروفة، إلا أنّ ذلك لم يحدده زمانيًا أو مكانيًا، بل كان وما زال دستورًا للنجاح في إدارة الدولة لكلِّ حاكم يريد أن يحقق العدالة والمساواة، ويُنجز مَهمته على أفضل حال.

ورغم الاختلاف الهائل الذي حصل على هيكلة الدولة وتشعب أجهزتها وكثرة مفاصلها، حتى باتت الدولة في زمننا تختلف في أطرها التفصيلية عن الدولة في زمن صدور العهد، إلا أن التشابه في الإطار العام يجعل من العهد العَلَوي دستورًا عمليًا منسجمًا مع اختلاف الدولة إداريًا وتطورها، وأكثر من ذلك هو أنّ العهد ليس وثيقة إدارية تتناول إدارة مفاصل الدولة فحسب، بل إنها منظومة قيمية أخلاقية تنظم العلاقة الإنسانية بين الحاكم والمحكوم قبل أن تنظم العلاقة الوظيفية بينهما.

وفوق كلّ هذا إنّ العهد يجعلنا نتعامل مع نصٍّ عليه من الجلال والقداسة والمهابة ما يجذبنا إليه، ويجعلنا ننصتُ إليه بإذعان، كيف لا وهو كلام باب مدينة علم رسول الله ﷺ، كما جاء في حقّه، "أنا مدينة العِلم وعليٌّ بابُها"[1].

مشكلة البحث:

يُعنى البحث بالإجابة عن أسئلة مهمة يمكن بلورتها بـ: كيف نؤسس لعلاقة سليمة بين الموظف ووظيفته، وكيف نحول دون الاستغلال الوظيفي الذي يقع فيه المسؤولون وأصحاب المناصب باختلاف مواقعهم؟ وكيف نحصّن العلاقة السليمة بين الموظف ووظيفته من الانهيار أمام وساوس الاستغلال الوظيفي.

سابقة البحث:

كُتب عن عهد الإمام عليّ عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه كثير من الشروح، وعدد أكبر من الدراسات العلمية، ومن زوايا مختلفة، إدارية، وفكرية، وقانونية، واجتماعية، واقتصادية، وسياسية، ولغوية، وغير ذلك، مع ذلك لم أرَ حسب تتبعي تناول العهد العَلَوي من هذه الزاوية، وبهذا العنوان، وربما كان هناك من تناول ما يرتبط الجانب الإداري الوظيفي، لكني اخترت زاوية العلاقة بين الموظف ووظيفته في ضوء العهد العَلَوي، وسبل بنائها بناءً سليمًا، وما يدخل في ذلك من أُسس ترسو عليها العلاقة، ومعايير دخيلة في نجاحها، وإجراءات تضمن حصانتها.

خطة البحث:

نظّمتُ البحث بمقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، جاءت كالآتي:

- المبحث التمهيدي: تضمّن سرد نبذتين، الأُولى عن العهد، والثانية عن شخصية مالك الأشتر رضي الله عنه.
- المبحث الأول: وخُصّص هذا المبحث لأُسس العلاقة السليمة بين الموظف ووظيفته.

(١) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، عيون أخبار الرضا عليه السلام، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م، ج٢ ص٧٢

❖ المبحث الثاني: وخُصّص لمعايير اختيار المسؤولين والموظفين؛ لأثرها في تشييد العلاقة السليمة بينهم وبين وظائفهم.

المبحث الثالث: وخُصّص بالإجراءات التحصينية للعلاقة السليمة بين الموظف بوظيفته.

منهج البحث:

اعتمدتُ في بحثي هذا على المنهج الاستقرائي التحليلي. حيث قرأت العهدَ وبوّبت نصوصه حسب أبواب البحث وتفصيلاته، وحاولت أن أضع في كل خانة ما يناسبها من فقرات العهد، مما يستدعي استقراء النصوص، وتحليلها، والغوص في أعماقها، وتوظيفها بما يجعل البحث مدعومًا بنصٍّ من نصوص العهد، فلم نترك مفهومًا من المفاهيم إلا واستشهدنا له بفقرة من فقرات العهد.

ومما يجدر بالتنويه أنّ النصوص التي استشهدنا بها هي من العهد العَلَوي، وما جاء من نصوص خارجة عن العهد فهي مع قلّتها لم تكن نصوصًا رئيسة، بل نصوص ساندة ومؤيدة لما جاء من نصوص العهد، ولذلك لم نوثّق في الهوامش نصوص العهد؛ لأنّه هو مدار البحث، واكتفينا بتوثيق النصوص الأُخرى، سواء كانت من نهج البلاغة أو من غيره. نسأل الله تعالى التوفيق والتسديد.

«المبحث التمهيدي»

نظراتٌ تعريفية

في هذا المبحث التمهيدي نُلقي نظرتين على سبيل الإيجاز، الأولى على عهد الإمام عليّ عليه السلام للأشتر، والثانية على سيرة مالك بن الحارث الأشتر رضي الله عنه، أي نظرة على العهد نفسه، وأُخرى على مَنْ وُجِّهَ العهد إليه، ولا نرى حاجة لنظرة ثالثة نُلقيها على صاحب العهد وكاتبه، وهو الأمير عليه السلام، فنكون حينئذٍ كمن يصف الشمس لرائيها.

المطلب الأول: نظرة على عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر

العَهْدُ لغةً، قال ابن فارس في المقاييس: "(عهد) العين والهاء والدال أصل هذا الباب عندنا دال على معنى واحد قد أومأ إليه الخليل، قال: أصله الاحتفاظ بالشيء وإحداث العهد به، والذي ذكره من الاحتفاظ هو المعنى الذي يرجع إليه فروع الباب"[1].

والعَهْدُ اصطلاحًا: "حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال ، وسمّي الموثق الذي يلزم مراعاته عَهْداً، قال تعالى: ﴿**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْؤُلًا**﴾[2]"[3]، وما نحن فيه هو العهد الذي كتبه أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام لمالك الأشتر (رضوان الله تعالى عليه)، حينما ولاه على مِصر. عهدُ الإمام عليٍّ عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه من أهمّ كتبه عليه السلام وأطولها، متعدد المضامين، فمن أُصول إدارية، إلى حقوق اقتصادية، وقيم اجتماعية وإنسانية، وقواعد قانونية، كل هذا في قوالب بلاغية رفيعة المستوى. وضّح الإمام عليه السلام من خلاله العلاقة بين الراعي والرعية، الراعي متمثلاً بالخليفة والوالي والأمير، والرعيّة متمثلةً بطبقات المجتمع وأفراده.

يعتبر العهد أهم وثيقة إدارية في تاريخ الإسلام، إذ ليس بين أيدينا وثيقة بهذا التفصيل الإداري والقانوني لإدارة الدولة من منظار إسلامي أصيل، ويعتبر العهد دستورًا جامعًا يوضّح حقوق الناس على الدولة وواجباتهم تجاهها، وحقوق الدولة على المواطنين، وما يجب عليها أن تحققه من مصالح الناس وترعاه من حقوقهم.

---

(١) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، إيران – قم، ١٤٠٤هـ، ج٤ ص١٦٧

(٢) الإسراء: ٣٤

(٣) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، طليعة النور، إيران – قم، ١٤٢٧هـ، ط٢، ص٥١٩

العهد العَلَوي باختصار رؤية أمير المؤمنين عليعليه السلام لمواصفات الحاكم، والمسؤولية الملقاة على عاتقه، وهي مسؤولية متنوعة المجالات، لتنوع مجالات حياة المجتمع، فهو مسؤول عن سياسة الدولة، والدفاع عنها، وإدارة المجتمع، وتوفير الأمن والخدمات المختلفة، وتنمية الاقتصاد.

يقول الشيخ محمد جواد مغنيّة: "ابتدأ الإمام هذا العهد بتحديد السلطة التي أسندها للأشتر، وهي أربعة أمور: الأول: (جباية الأموال) وهي من الوظائف المالية. الثاني: (جهاد العدو) الشؤون الحربية. الثالث: (استصلاح حال المواطنين) ويشمل الأمن والثقافة والصحة ووظائف الدولة والخدمات، وما الى ذلك من الشؤون الاجتماعية. الرابع: (عمارة البلاد) وتعمّ الزراعة والصناعة والتجارة والإسكان والمواصلات"[1].

ولأهمية العهد كثرت شروحه وتزايدت الدراسات المختصة فيه، وربما صعب اليوم إحصاء ما هو مطبوع منشور من الشروح قديمًا وحديثًا، والدراسات المعقودة حول عهد الإمامعليه السلام، لكثرتها.

أما من ناحية السند، فقد "أسند إلى العهد كل من الطوسي في الفهرست: ٨٥، والنجاشي في الرّجال: ٨، باسنادهما إلى الأصبغ بن نباتة المجاشعي، عن أمير المؤمنينعليه السلام، كما أشار إلى هذا العهد القلقشندي في صبح الأعشى ٣: ٣١٩ ، وأورده في المجلَّد ١٠: ١٢"[2].

فالراوي للعهد هو الأصبغ بن نباتة المجاشعي التميمي صاحب أمير المؤمنين عليّعليه السلام، قال عنه الشيخ الطوسيرحمه الله في ترجمته: "الأصبغ بن نباتةرحمه الله، كان الأصبغ من خاصة أمير المؤمنينعليه السلام وعمّر بعده، روى عهد مالك الأشتر الذي عهده إليه أمير المؤمنينعليه السلام لما ولاه مصر"[3].

(١) مغنية، محمد جواد، في ظلال نهج البلاغة، ج٤ ص٢٤٠

(٢) الحسيني الجلالي، محمد حسين، فهرس التراث، تحقيق: محمد جواد الحسيني الجلالي، دليل ما، إيران – قم، ١٤٢٢هـ – ١٣٨٠هـ، ط١، ج١ ص٨٨٥

(٣) الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن، الفهرست، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، شعبان المعظم ١٤١٧هـ، ط١، ص٨٥

فسند العهد إلى الأصبغ بن نباتة راوي العهد بطريقين:

الأول: طريق الشيخ الطوسي رحمه الله، وقد ذكره كتابه الفهرست في ترجمة الأصبغ بن نباتة، قال رحمه الله: "أخبرنا بالعهد ابنُ أبي جيِّد، عن محمد بن الحسن، عن الحميري، عن هارون بن مسلم والحسن بن طريف جميعاً، عن الحسين بن علوان الكلبي، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين عليه السلام"[1]. وكل الرواة الواقعين في هذا السند من الثقات.

الثاني: طريق النجاشي، وقد ذكره في ترجمة الأصبغ بن نباتة، في كتابه (رجال النجاشي)، قال: "أخبرنا ابن الجندي، عن علي بن همام، عن الحميري، عن هارون بن مسلم، عن الحسين بن علوان، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بالعهد"[2].

وكل الرواة الواقعين في هذا السند من الثقات، وعليه فالطريقان لعهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه معتبران.

وقد حاول بعضُهم إثارة الشُّبَه على صدوره من الإمام عليه السلام، فلم يجد شبهةً أقوى من طول العهد وإسهابه، وهي شبهة واهية، إذ إن من المأثور الخُطب الطوال التي تناقلتها حفظًا صدور الرجال، فكيف بما هو مدوَّن في القراطيس، "وسبيلُ هذا العهد سبيل الكتب العلمية التي ترسلها الأساتذة إلى التلامذة فتبقى لديهم مصونة مكنونة، فهذا العهد لا يقل عن عهد طاهر بن الحسين لابنه عبد الله المحفوظ في الكتب"[3].

المطلب الثاني: نظرة على سيرة مالك الأشتر رضي الله عنه

هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن الحارث بن جذيمة، بن سعد مالك بن النخع، وكنيته: أبو إبراهيم، نسبة إلى ولده الأكبر إبراهيم.

ولد في الجاهلية، وأدرك الإسلام، وعاصر النبي صلى الله عليه وآله ولكنّه لم يره ولم يسمع حديثه.

وكانت ولادته في إحدى قرى اليمن، ثم نزل الكوفة واتخذها مسكناً وموطنا له ولأولاده من بعده، ولم يحدد المؤرخون تاريخ ولادته.

---

(١) المصدر السابق

(٢) النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي، فهرست أسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١٦هـ، ط٥، ص٨

(٣) الفكيكي، توفيق، الراعي والرعية، مطبعة الغري، النجف الأشرف، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م، ص١٢، وهذا النصّ من مقدمة السيد هبة الدين الشهرستاني (ره) للكتاب.

وسبب تلقيبه بالأشتر لأن إحدى عينيه قد شُترت، والشتر انقلاب الجفن، وكان ذلك في معركة اليرموكً فيها، وقد ضربه رجل على رأسه فسالت الجراح قيحًا إلى عينه، فشترتها.

ولم يكن يزعجه هذا الشتر في عينه، بل كان يفتخر به ويكرره في أراجيزه، قال الدينوري عن حروب صفين في الأخبار: " فتناول الأشتر لواء أهل العراق، فتقدم به، وهو يرتجز:

إنّـي أنـا الأشـترُ معـروفُ الشَّـتَرْ إنّـي أنـا الأفعـى العراقـيُّ الـذّكَرْ

فقاتل أهل الشام حتى رد اللواء، وردهم على أعقابهم، ففي ذلك يقول النجاشي:

رأيـت اللـواء كظـل العقـاب يقحّمـــه الشـــاميُ الأخـــزرُ
دعونا لـه الكبشَ كبشَ العراقِ وقـد خـالط العسـكرَ العسـكرُ
فـــرد اللـــواءَ علـــى عقبـــهِ وفـــاز بحظوتهـــا الأشـــترُ[1]

عُرف بشجاعته الفائقة، فلُقِّبَ لذلك بكبش العراق، وكان عضد الإمام علي عليه السلام، كتب له وهو بنصيبين: **"أما بعد، فإنك ممن أستظهرُ به على إقامةِ الدِّين، وأقمعُ به نخوة الأثيم، وأسدُّ به الثغرَ المَخوف...**[2].

ومما يدلّ على مواصفات الأشتر العالية ما ورد في كتاب أمير المؤمنين عليه السلام لأهل مصر، "عن فضيل بن خديج، عن مولى الأشتر قال: لما هلك الأشتر وجدنا في ثقله رسالة علي إلى أهل مصر:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله أمير المؤمنين إلى النفر من المسلمين الذين غضبوا لله إذ عصي في الأرض وضرب الجور برواقه على البر والفاجر، فلا حق يستراح إليه ولا منكر يتناهى عنه، سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد فقد وجهت إليكم عبدا من عباد الله لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء حذار الدوائر، أشد على الكفار من حريق النار، وهو مالك بن الحارث الأشتر أخو مذحج، فاسمعوا له وأطيعوا، فإنه سيف من سيوف الله لا نابي الضريبة ولا كليل الحد، فإن أمركم أن تقيموا فأقيموا، وإن أمركم أن تنفروا فانفروا وإن أمركم أن تحجموا فأحجموا، فإنه لا يقدم

(١) الدينوري، ابن قتيبة، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربي، ١٩٦٠م، ص١٨٥

(٢) الثقفي الكوفي، إبراهيم بن محمد، الغارات، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، طبعة أوفست في مطابع بهمن، ج١ ص ٢٥٨،

ولا يحجم إلا بأمري، وقد آثرتكم به على نفسي لنصيحته وشدة شكيمته على عدوه، عصمكم الله بالحق وثبتكم باليقين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)[1].

"وكان فارساً شجاعاً رئيساً، من أكابر الشيعة وعظمائها، شديد التحقّق بولاء أمير المؤمنين عليه السلام ونصره.

شهد اليرموك ونزل الكوفة، وسيّره عثمان مع جماعة من قراء أهل الكوفة إلى دمشق لإنكارهم على سعيد بن العاص والى الكوفة، وشهد الأشتر حصر عثمان.

وكان من خواص الإمام علي ع وأخلص المنتجبين من أصحابه، وشهد معه وقعتي الجمل وصفين، وكان قائداً حربياً مظفراً، وتميز يوم صفين، وأشرف يومئذ على معسكر معاوية ليدخله، وكاد أن يهزمَ معاوية، فحمل عليه جماعة من أصحاب الإمام عليه السلام الذين صاروا خوارج فيما بعد لما رأوا مصاحف أهل الشام قد رُفعت خديعة ومكيدة يدعون إلى كتاب اللهَّ، وما أمكنه مخالفة أمير المؤمنين لما اضطرّ للتحكيم فكفّ.

وكان للأشتر في العلم الحظ الأوفر والنصيب الأوفى فقهاً وحديثاً، وكان شاعراً حماسياً مُجيداً، وخطيباً مِصقعاً، ولكن غطَّى على صفاته صفة البطولة والشجاعة التي أدهشت العقول وحيّرت الافكار"[2].

وفي شرح ابن أبي الحديد المعتزلي: "لله أم قامت عن الأشتر لو أنّ إنسانًا يقسم أن الله تعالى ما خلق في العرب ولا في العجم أشجع منه إلا أستاذه عليه السلام لما خشيت عليه الاثم! ولله در القائل، وقد سئل عن الأشتر: ما أقول في رجل هزمت حياته أهل الشام، وهزم موته أهل العراق!

وبحق ما قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام: كان الأشتر لي كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وآله"[3].

---

(١) الثقفي الكوفي، إبراهيم بن محمد، ج١ ص ٢٦٧

(٢) اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، موسوعة طبقات الفقهاء، إشراف: جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ١٤١٨هـ، ج١ ص٥٠٦

(٣) المعتزلي، ابن أبي الحديد، دار إحياء الكتب العربية، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م، ط١، ج٢ ص٢١٤

"توفّي الأَشتر سنة تسع وثلاثين، وقيل: سنة ثمان وثلاثين متوجهاً إلى مصر والياً عليها للإمام عليعليه السلام، واختلف المؤرخون في موته، فقيل: مات حتف أنفه فجأة، وقيل: مات مسموماً وهو المشهور.

قيل: إنّ معاوية دس إليه سمّا على يد مولى له، ويقال مولى عثمان، وقال آخرون: إنّ معاوية كتب إلى عامل الخراج بالقلزم أن يسمّه.

ولما بلغ معاوية موته قام خطيباً، فقال: أمّا بعد، فانّه كانت لعلي بن أبي طالب يدان يمينان قطعت إحداهما يوم صفّين وهو عمار بن ياسر وقطعت الأُخرى اليوم وهو مالك الأَشتر.

أمّا أمير المؤمنينعليه السلام فقد تأسّف لموته، وقال: لقد كان لي كما كنت لرسول اللهّصلى الله عليه وآله.

وقالعليه السلام: رحم اللهّ مالكاً فقد كان وفى بعهده، وقضى نحبه، ولقي ربّه، مع أنّا قد وطّنا أنفسنا أن نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول اللهّصلى الله عليه وآله فانّها من أعظم المصائب.

وقالعليه السلام: لله درُّ مالك، وما مالك ؟ لو كان من جبل لكان فِندا، ولو كان من حجر لكان صلدا"[1].

(١) اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادقعليه السلام، موسوعة طبقات الفقهاء، ج١ ص٥٠٦

«المبحث الأول»

أسس العلاقة السليمة بين الموظف ووظيفته عند الإمام علي عليه السلام في عهده لمالك الأشتر

من المهم أن نعرف أن نجاح الموظف والمسؤول في أداء مهمته يعتمد على عواملَ كثيرة ومتنوعة، فالكفاءة في العمل عاملٌ مهم ولكن ليس هذا العامل الوحيد في نجاح الإدارة، بل هناك عوامل أُخرى مردُّها إلى نظرة المسؤول لموقعه والموظف لوظيفته، فبات من الضروري إنّ تؤسس العلاقة بين الموظف ووظيفته، وبين المسؤول والمنصب، تأسيسًا دقيقًا، لترسو تلك العلاقة علاقةً سليمة على تلك الأسس العميقة، ونظرة الرئيس والمسؤول والموظف إلى موقعه متولّدة عن الأخلاق التي تربّى عليها، والقناعات والأفكار التي ترسّخت في نفسه وتفكيره، لذا نجد أنّ أمير المؤمنين عليه السلام ابتدأ عهده ووصاياه لمالك الأشتر رضي الله عنه بما تنطوي عليه نفسُه وتفكيرُه، لم يبدأ كلامه بأوامر ووصايا عن العمل الذي سيقوم به، بل بدأ وصاياه وأوامره بـ(آمرُه بالتقوى)، فقال عليه السلام: **"هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللهَّ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ، حِينَ وَلاهُ مِصْرَ: جِبَايَةَ خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلاَحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلاَدِهَا.**

أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللهَّ، وَإِيْثَارِ طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ، مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ، الَّتِي لاَ يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلا بِاتِّبَاعِهَا، وَلاَ يَشْقَى إِلا مَعَ جُحُودِهَا وإِضَاعَتِهَا، وأَنْ يَنْصُرَ اللهَّ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ، فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ".

فبدايةُ الوصايا أَمرَهُ بتقوى الله، فالنجاح في المنظار الإسلامي في إدارة المنصب والحكم والدولة أساسهُ تقوى الله تعالى، فالبداية من الإصلاح الداخلي الذاتي.

من هنا رصدنا في عهد الإمام عليّ عليه السلام لمالك الأشتر ما يُمكن أن نُعبّر عنه بالأسس العلاقة السليمة بين الموظف ووظيفته، وهي أُسس نفسية وفكرية، يجب تنميتها وتقويتها إذا كانت موجودة بنسبة معينة، وإيجادها إذا لم تكن كذلك، منها:

الأساس الأول: مبدأ العبودية لله تعالى

استحضار العبودية لله له الأثر الكبير في السلوك الاداري في مواقع الإدارة المختلفة، لذلك افتتح الإمام عليه السلام قوله عليه السلام "هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللهَّ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرَ"، فهو بهذا الاستحضار يعلّم الانسان وهو يدير مسؤوليته القيادية أو الإدارية أن يستحضر كونه عبدًا لله تعالى، وعليه أن يؤدي وظيفته بما تُمليه عليه عبوديته لله تعالى، فالعلاقة بينه وبين الآخرين تحددها عبوديته لله تعالى، وليست هي علاقة سلطوية مع غيره.

وإذا كان التذكير بالعبودية لله مفتتح العهد فسؤال الله تعالى الرحمة والتوفيق والرضا هو الختام، فالإدارة والحكومة عند أمير المؤمنين علي عليه السلام رحلة عبودية، ومسيرة طاعة، قال عليه السلام: "وَأَنَا أَسْأَلُ اللهَّ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ أَنْ يُوَفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ مِنَ الْإِقَامَةِ عَلَى الْعُذْرِ الْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِهِ مَعَ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِي الْعِبَادِ وَجَمِيلِ الْأَثَرِ فِي الْبِلَادِ وَتَمَامِ النِّعْمَةِ وَتَضْعِيفِ الْكَرَامَةِ وَأَنْ يَخْتِمَ لِي وَلَكَ بِالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ...".

ولتقوية هذا المبدأ وعدم الغفلة عنه أوصاه بأن يولي أُموره العبادية اهتمامًا خاصًا، ويجعل القسم العبادي من أقسام يومه وليلته أفضل الأقسام، قال عليه السلام: **"وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهَّ أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ، وَأَجْزَلَ تِلْكَ الْأَقْسَامِ... وَلْيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ للهّ بِهِ دِينَكَ إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةً، فَأَعْطِ اللهَّ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ، وَوَوَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللهَّ مِنْ ذَلِكَ كَامِلاً غَيْرَ مَثْلُومٍ وَلاَ مَنْقُوصٍ، بَالِغا مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ"**.

الأساس الثاني: الوازع الذاتي عن استغلال المنصب بالتذكير بالمعاد

يعتبر الوازع الذاتي أهم العوامل التي يُمكن أن يعتمد عليها في محاربة الفساد، إذ أنّ الذي يسرق أو يريد السرقة قد يصعب منعه عن ذلك ويعسر إيجاد رقيب عليه في كل وقت وفي كل موقع، ولكن أن تُوجد في نفسه رقيباً فهذا أقوى عوامل الصد والمنع، لذا يُمكن أن نقول إنّ النصوص التي تتحدّث عن التقوى والورع والإيمان وتذكر يوم الحساب ومحكمة يوم القيامة وغيرها كلّها تصب في خلق وازعٍ ذاتيٍّ ورقيبٍ داخلي عن المحرّمات والمفاسد ومنها الفساد المالي والإداري.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في عهده للأشتر رضي الله عنه: **"أَنْصِفِ اللهَّ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلا تَفْعَلْ تَظْلِمْ! وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهَّ كَانَ اللهَّ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللهَّ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ، وَكَانَ للهِّ حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ**

ويَتُوبَ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللهَّ، وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ، فَإِنَّ اللهَّ يَسْمَعُ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَدِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ".

وعدَّ عليه السلام ذِكرُ المعاد وأهوال يوم القيامة أفضل رادع عن الموقف الخاطئ والقرار غير السليم، فقال في العهد:

"امْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ وَسَوْرَةَ حَدِّكَ وَسَطْوَةَ يَدِكَ وَغَرْبَ لِسَانِكَ، وَاحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِكَفٍّ الْبَادِرَةِ وَتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ الإِخْتِيَارَ، وَلَنْ تَحْكُمَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ".

وذكّر عليه السلام في كتاب آخر بالسؤال الدقيق يوم القيامة، فقال:

"وَإِنَّ اللهَّ تَعالَى يُسائِلُكُمْ مَعْشَرَ عِبادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمالِكُمْ وَالْكَبِيرَةِ، وَالظَّاهِرَةِ وَالْمُسْتُورَةِ، فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ، وَإِنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ"[1].

وكتبَ أمير المؤمنين عليه السلام لأحد ولاته وقد سرق من بيت المال يذكره بالمعاد ويستغرب سرقته مع ادعائه الإيمان بالمعاد والحساب، فقال عليه السلام:

"فَسُبْحَانَ اللهَّ! أَمَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ أَوَ مَا تَخَافُ نِقَاشَ الْحِسَابِ، أَيُّهَا الْمَعْدُودُ كَانَ عِنْدَنَا مِنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ، كَيْفَ تُسِيغُ شَرَاباً وَطَعَاماً، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَاماً، وَتَشْرَبُ حَرَاماً، وَتَبْتَاعُ الْإِمَاءَ وَتَنْكِحُ النِّسَاءَ مِنْ مَالِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ أَفَاءَ اللهَّ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْأَمْوَالَ وَأَحْرَزَ بِهِمْ هَذِهِ الْبِلَادَ، فَاتَّقِ اللهَّ وَارْدُدْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنَنِي اللهَّ مِنْكَ لَأُعْذِرَنَّ إِلَى اللهَّ فِيكَ، وَلَأَضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَداً إِلاَّ دَخَلَ النَّارَ، وَاللهَّ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَعَلاَ مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ، وَلاَ ظَفِرَا مِنِّي بِإِرَادَةٍ، حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُمَا، وَأُزِيحَ الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتِهِمَا، وَأُقْسِمُ بِاللهَّ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَا أَخَذْتَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلاَلٌ لِي أَتْرُكُهُ مِيرَاثاً لِمَنْ بَعْدِي، فَضَحَّ رُوَيْداً فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الْمَدَى، وَدُفِنْتَ تَحْتَ الثَّرَى، وَعُرِضَتْ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ، بِالْمَحَلِّ الَّذِي يُنَادِي الظَّالِمُ فِيهِ بِالْحَسْرَةِ، وَيَتَمَنَّى الْمُضَيِّعُ فِيهِ الرَّجْعَةَ وَلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ"[2].

---

(١) – نهج البلاغة، الكتاب رقم: (٢٧)، الذي كتبه لمحمد بن أبي بكر حين ولاه مصر.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب رقم: (٤١).

الأساس الثالث: الشعور بضآلة السلطان الدنيوي في قبال سلطان الله

من يشعر بسلطان الله تعالى لا يرى لنفسه سلطانًا في موقع حكومي أو منصب إداري، مهما تعاظم ذلك الموقع والمنصب، والشعور بعظمة الله تعالى وعظم سلطانه يربّي الإنسان على التواضع مهما كان منصبه وسلطته، يقول الإمام عليه السلام للأشتر:

"وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْ مَخِيلَةً فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللهَّ فَوْقَكَ وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لاَ تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ وَيَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ، وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ".

ثم يقول عليه السلام:

"إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اَللهَّ فِي عَظَمَتِهِ، وَاَلتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ؛ فَإِنَّ اَللهَّ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَال".

الأساس الرابع: مشاعر الرحمة في نفس المسؤول والموظف اتجاه الناس

من سكنت قلبَهُ الرحمةُ وملأت جوانحه المحبة للناس لا يقسو عليهم، ولا يضمر لهم الشرّ، بل يقدّم لهم ما يحتاجونه وما يقدر عليه، ولذا جاءت وصية الأمير عليه السلام: **"وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ اَلرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَاَلْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاَللُّطْفَ بِهِمْ، وَلاَ تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي اَلدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي اَلْخَلْق".**

"إنّ علاقة الحاكم بالأُمّة هي علاقة محبة وولاء وعمل، وتكليفٍ وأداء مسؤوليات ثقافية، وسياسية، واجتماعية، وإدارية، وليست هي علاقة تحكّم، أو تعالي، أو استبداد، ولذلك فإنّ الحاكم لا ينفصل عن الوسط الاجتماعي، بل هو جزء حيوي من حركة الدولة وتفاعل المجتمع،..."[1].

ومن الرحمة أن الموظف والمسؤول قد يجد للمراجع في كثير من الأحيان منفذًا قانونيًا، أو متسعًا إداريًا، ويتمكن من التسهيل عليه بدون خرق للقانون أو مخالفته: قال الأمير عليه السلام في العهد: **"وَلاَ تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً وَلاَ تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي اَلْقَلْبِ وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ وَتَقَرُّبٌ مِنَ اَلْغِيَرِ".**

وقد يصلح هنا التعبير المعاصر وهو العمل بروح القانون وليس بنص القانون.

---

(١) الشامي، حسين، البرنامج الأمثل لإدارة الدولة وقيادة المجتمع في عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر، جامعة الإمام الصادق عليه السلام، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ط٢، ص ٥٤

الأساس الخامس: إعلاء المصلحة العامة على المصلحة الشخصية:

قول عليه السلام: **"وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ؛ فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ، وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ..."**، مراعاة المصلحة العُليا وإعلاؤها على المصالح الشخصية والفئوية الضيقة نهج لا بدّ أن يسير عليه المسؤول والموظف، فالمصلحة العامة تعني التخلص من الرغبات والميول الشخصية، والابتعاد عن الضغوط التي تولدها الحواشي والأقارب.

الأساس السادس: حبُّ العمل الصالح واعتباره أفضل الذخائر

عندما تُربّى النفس على حب الخير، والتسابق لعمل الخير، وينمّى فيها حب العمل الصالح، فإنّ ذلك كفيل بصدور الأعمال الصالحة من الإنسان، بل ويسعى لإيجاد فرص لعمل الخير، والموظف والمسؤول متى ما كانت نفسه تهشّ للخير، وتتمناه للآخرين، فبكل تأكيد سيصدر منه التعامل الصالح مع الناس، ويسعى عند ذلك إلى اغتنام كل فرصة لتقديم المساعدة، وإنجاز العمل على أكمل وجه، ولذلك مما جاء في عهد مالك الأشتر (رضوان الله عليه): **"فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ"**.

الأساس السابع: التحكم بالنفس وكبح جماحها

إنّ للإنسان نفسًا قد تأمرُهُ بالسوء، ورغبات قد تورده المهالك، والسيطرة على النفس عاملٌ مهم ومؤثر في نجاح الموظف والمسؤول في وظيفته ومهمته، ولذا أكد أمير المؤمنين عليه السلام على ذلك بقوله: **"فَامْلِكْ هَوَاكَ، وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ"**.

وقال عليه السلام في بداية العهد: **"... وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ عِنْدَ اَلشَّهَوَاتِ وَيَزَعَهَا عِنْدَ اَلْجُمَحَاتِ فَإِنَّ اَلنَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ اَللَّهُ"**، ويزعها أي يحبسها ويكفها ويمنعها عن الأهواء والرغبات، والجمحات مأخوذ من جمح أي أسرع، ومنه فرسٌ جموح أي مسرع".

الأساس الثامن: تنمية الشعور الرافض لظلم الآخرين

الإنصاف أن تعامل الناس كما تُحب أن يعاملوك، فكما لا تريد أن تُظلَمَ لا تَظلِمْ الآخرين، قال عليه السلام:

"أَنْصِفِ اللهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلا تَفْعَلْ تَظْلِمْ! وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهَّ كَانَ اللهَّ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ

اللهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ، وَكَانَ للهِ حَرْبًا، حَتَّى يَنْزِعَ وَيَتُوبَ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ، فَإِنَّ اللهَ يَسْمَعُ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَدِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ".

وحذّر عليه السلام من سفك الدم الحرام؛ لأنّه ذروة الظلم، وسبب لوهن الدولة وزوالها، فقال: **"فَلاَ تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ، وَيُوهِنُهُ بَلْ يُزِيلُهُ وَ يَنْقُلُهُ".**

الأساس التاسع: تنمية الشعور المُحِب للحقِّ وتحقيق العدالة

قال عليه السلام: **"وَلْيَكُنْ أَحَبَّ اَلْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي اَلْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي اَلْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَا لِرِضَى اَلرَّعِيَّةِ؛ فَإِنَّ سُخْطَ اَلْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَا بِرِضَى اَلْخَاصَّةِ وَإِنَّ سُخْطَ اَلْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَا رِضَى اَلْعَامَّةِ".**

قال الشيخ محمد جواد مغنيّة: "المراد بالأوسط هنا المعتدل، ومعنى الاعتدال في استعمال الحق أن لا يطغى سلطان حق على سلطان حق آخر، وان يمارس الإنسان حقه في حدود المحافظة على حقوق الآخرين، فللراعي مثلا حق الطاعة على الرعية، ولكن في حدود مصالحهم وما يعود عليهم بالنفع والخير، وأيضا على الراعي أن يستجيب لمطالب الرعية، ولكن في نطاق الاحتفاظ بهيبة الحكم وسيادته بحيث لا يكون مغلوبا على أمره. وبهذا يحصل التوازن بين الحقين في غير عنف وتعسف.

الديمقراطية:

(و أعمّها في العدل) أي على الراعي قبل كل شيء أن يعمل لمصلحة الجميع بلا استثناء، فإن تعذر عليه أخذ بالأهم الأعم، وهو مصلحة الأكثرية (فإن سخط العامة يجحف برضا الخاصة) إذا طلبت الأقلية من الحاكم أن يغدق عليها الامتيازات التي تمكنها من رقاب الأكثرية واستغلالهم فعليه أن يرفض ولا يستجيب، أما من الوجهة الدينية فواضح لمكان الظلم والجور، واما من الوجهة السياسية فلأن سخط العامة يهز كيان الدولة بالإضرابات والمظاهرات، وربما بالثورة المسلحة، ورضا الخاصة لا يجدي شيئا في هذه الحال، والعنف يزيد النار اشتعالا.

أما سخط الأقلية فلا يترتب عليه أي محذور، ومن أجل هذا فهو مغفور، بل مشكور في جانب رضا العامة، وهذا ما أراده الإمام بقوله: (وان سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة)".

الأساس العاشر: وعيُ الموظف بأنّ العمل السليم عبادة

أوصى أمير المؤمنين عليه السلام مالكًا الأشتر أن يجعل أفضل أوقاته لعبادة الله تعالى، وأكّد على أنّ أعماله وأقسام وقته كلّها هي لله تعالى:

"وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهَّ أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ، وَأَجْزَلَ تِلْكَ الْأَقْسَامِ وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا للهَّ إِذَا صَلُحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ".

سلمت منها الرعيَّة أي سلمت الأُمة من الظلم والاستبداد والتعدّي على حقوقها، فكلُّ الأعمال إذا كانت عن نية خالصة، وسلم منها الناس من الظلم، فهي عبادةٌ وأيُّ عبادة.

الأساس الحادي عشر: التواضع والحذر من الإعجاب والغرور

كما أنّ الإعجاب بالنفس يمنع الموظف من تطوير ذاته؛ لأنّه سيشعر بالكمال والاكتفاء وعدم احتياجه للآخرين، كذلك سيكون سببًا في تعاليه على الناس، وسيقوده غروره وخيلاؤه إلى ظلمهم بعد ظلم نفسه، وقد أكّد الإمام عليه السلام على هذا، فقال: **"وَإِيَّاكَ وَالْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا وَحُبَّ الْإِطْرَاءِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِين".**

الأساس الثاني عشر: التعامل مع المنصب على أنّه تكليف لا تشريف

على المدير والوزير والرئيس وكل صاحب منصب صغيراً كان أم كبيراً أن يعرف أنّ موقعه الإداري مسؤولية وتكليف وليس تشريفاً، وعليه أن يتعامل مع موقعه كأمانه قد أُؤتمن عليها، وهذا ما نقرؤه في نهج البلاغة في عدة مواضع، قال عليه السلام في عهده للأشتر رضي الله عنه: **"فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللهُّ فَوْقَ مَنْ وَلاكَ، وَقَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ، وَابْتَلاكَ بِهِمْ".**

ثم قال عليه السلام: **"وَلاَ تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغِيَرِ".**

وفي كتابه عليه السلام إلى الأشعث بن قيس عامل أذربيجان:

"وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ وَلَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ وَأَنْتَ مُسْتَرْعًى لِمَنْ فَوْقَكَ لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّةٍ وَلاَ تُخَاطِرَ إِلاَّ بِوَثِيقَةٍ وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اَللهَّ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْتَ مِنْ خُزَّانِهِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ وَلَعَلِّي أَلاَّ أَكُونَ شَرَّ وُلاَتِكَ لَكَ وَالسَّلاَمُ"[1].

(١) نهج البلاغة، الكتاب (٥).

وقال عليه السلام: **"فَأَنْصِفُوا اَلنَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ وَاِصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ اَلرَّعِيَّةِ وَوُكَلاَءُ اَلْأُمَّةِ وَسُفَرَاءُ اَلْأَئِمَّةِ..."**(١).

الأساس الثالث عشر: التعامل مع المنصب على أنّه غير دائم لأحد

تحدث أمير المؤمنين عليه السلام عن السلطة الدنيوية وأنها إلى زوال وانتهاء، قال عليه السلام: **"سُلْطانُها دُوَّلٌ"**(٢).

وفي عهد مالك الأشتر (رضوان الله عليه) تحدّث أمير المؤمنين عليه السلام عن المسؤول وصاحب المنصب وأن عليه أنّ يضع نصب عينيه مآل مَن كان قبله من الظلمة والمفسدين، وواحد من أسباب نهم أصحاب المناصب أنهم لا يعتبرون بمن قبلهم، يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

"وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الْأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا، وَإِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلُهَا لِإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْوُلاَةِ عَلَى الْجُمْعِ، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ، وَقِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ".

لا أحد يبقى في منصبه حتى من كان صالحًا عادلاً، فالمنصب لا يدوم لأحد، وما هي إلا أيام ويتركه لغيره، قال عليه السلام: **"أُوصِيكُمْ عِبادَ اللهَّ بِتَقْوَى اللهَّ الَّذِي أَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمُ الْمَعاشَ، فَلَوْ أَنَّ أَحَداً يَجِدُ إِلَى الْبَقاءِ سُلَّماً، أَوْ لِدَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلاً لَكانَ ذَلكَ سُلَيْمانَ بْنَ داوُدَ ع الَّذِي سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ مَعَ النُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ.**

فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ، وَاسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ، رَمَتْهُ قِسِيُّ الْفَنَاءِ بِنبالِ الْمَوْتِ وَأَصْبَحَتِ الدِّيارُ مِنْهُ خالِيَةً، وَالْمَساكِنُ مُعَطَّلَةً، وَوَرِثَها قَوْمٌ آخَرُونَ، وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً.

أَيْنَ الْعَمالِقَةُ وَأَبْنَاءُ الْعَمالِقَةِ؟ أَيْنَ الْفَراعِنَةُ وَأَبْناءُ الْفَراعِنَةِ؟ أَيْنَ أَصْحابُ مَدائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ، وَأَطْفَؤُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ، وَأَحْيَوْا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ؟ أَيْنَ الَّذِينَ سارُوا بِالْجُيُوشِ، وَهَزَمُوا الْأُلُوفِ، وَعَسْكَرُوا الْعَساكِرَ، وَمَدَّنُوا الْمَدائِنَ؟"(٣).

(١) نهج البلاغة، الكتاب (٥١).

(٢) نهج البلاغة، الخطبة (١١١).

(٣) نهج البلاغة، الخطبة (١٨٢).

«المبحث الثاني»

دور حُسن اختيار الموظف في العلاقة السليمة بينه وبين وظيفته

يتجلّى واضحًا في عهد الإمام عليٍّ عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه التأكيد على أن يكون اختيار الموظفين والقادة وفق معايير دقيقة، ليتحقق بذلك حُسْنُ اختيار الأشخاص لشغل المناصب والمواقع في الدولة، وكما قيل: "الرجل المناسب في المكان المناسب"، والاختيار الحسن بكل تأكيد قاعدةٌ مهمة راسخة من قواعد العلاقة السليمة بين الموظف ووظيفته؛ لأنّ حُسن الاختيار سيأتي بمَنْ يجيد التعامل مع وظيفته، ويحرص على النجاح وأداء المهمة الملقاة على عاتقه أحسن أداء.

ونقسِّم هذا المبحث إلى مطلبين، نخصص الأول منهما للمعايير المعتمدة عند الأمير عليه السلام في التعيينات وشغل المناصب، ونخصص الثاني لإيراد الإشكالات المثارة حول تطبيق هذه المعايير في حكومة الأمير عليه السلام، ومعالجة هذه الإشكالات.

المطلب الأول: معايير التوظيف في حكومة الإمام علي عليه السلام

حفل نهج البلاغة ببيان الكثير من المعايير الدقيقة في اختيار الشخص المناسب عند التوظيف والتعيين، وفي العهد العلوي الكثير من هذه المعايير، وأهم محدد لقبول الشخص المرشح للوظيف والمنصف هو تجاوز الاختبار بنجاح، قال عليه السلام: **"ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَارًا، وَلاَ تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً؛ فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ"**، ومن خلال الاختبار الدقيق والحيادي المنزّه عن المحاباة والأَثرة والواسطة يترشّح الشخص المناسب للوظيفة والمنصب، الشخص الذي يتمتع بالمعايير المطلوبة، وحذّر من التماهل والتساهل في الاختبار، فإنّ عاقبة التساهل في الاختبار وخيمة، إذ جعلها الإمام عليه السلام من الخيانة لافتقارها للنصيحة والأمانة:

"ثُمَّ لاَ يَكُنِ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَاسْتِنَامَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ، فَإِنَّ الرِّجَالَ يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلاَةِ بِتَصَنُّعِهِمْ وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْأَمَانَةِ شَيْءٌ وَلَكِنِ اخْتَبِرْهُمْ بِمَا وُلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ، فَاعْمِدْ لأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثَرا وَأَعْرَفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهًا، فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ للهِ وَلِمَنْ وُلِّيتَ أَمْرَهُ".

ومن المعايير التي أكد عليها الإمامعليه السلام في عهده:

١) الحزم والقوة

"ولأمير المؤمنينعليه السلام في كتابه إلى مالك الأشتر (رضوان الله عليه) كلمة جامعة في التعريف بالكفاءة والقوة، ننقلها.

يقولعليه السلام: واجعل لرأس كل أمر من أُمورك رأسًا منهم لا يقهره كبيرُها، ولا يتشتت عليه كثيرُها.

وهو كلام دقيق في التعريف بكفاءة المسؤول وقوّته، لا تغلبه الأمور الصعبة الكبيرة التي تواجه المسؤولين، ويبقى هو الأقوى في أيّ مواجهة ومقابلة للمشاكل والتحديات التي تواجهه.

والخصلة الأخرى في تحديد الكفاءة القوّة في المسؤولين **"ولا يتشتّت عليه كثيرها"** كما لا يغلبه كبيرها لا يشتّته كثيرها... إنّ المسؤول الذي تتشتّت عليه الأمور، لا يتمكّن أن يجمعها ويُهيمن عليها ويُديرها ويُنظّمها... إنّ الإدارة هي تجميع شتات الأمور وتنظيمها وترتيبها بحسب الأولويات والاستحقاقات. وهذه الخصال أيضاً من خصال القوّة، كما الخصلة المتقدّمة"[1].

٢) التجربة والخِبرة

قالعليه السلام: **"وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ"**

٣) الإخلاص لدينه وللدولة

قالعليه السلام: **"فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ للهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِإِمَامِكَ"**.

٤) الأمانة

قالعليه السلام: **"وَأَعْرَفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهًا"**

٥) السيرة الاجتماعية الحَسَنة

قالعليه السلام: **"مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقًا، وَأَصَحُّ أَعْرَاضًا، وَأَقَلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَافًا، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظَرًا"**.

(١) الآصفي، محمد مهدي، الثقافة القيادية والإدارية عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، العتبة العلوية المقدسة، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، ص١٢٢و١٢٣

٦) السيرة الوظيفية الحَسَنة

قال عليه السلام: "وَلَكِنِ اخْتَبِرْهُمْ بِمَا وُلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ، فَاعْمِدْ لِأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثَرًا".

٧) التمتع بالخصال الحميدة

قال عليه السلام: "وَأَنْقَاهُمْ جَيْبًا، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْمًا، مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ، وَيَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ وَيَنْبُو عَلَى الْأَقْوِيَاءِ، وَمِمَّنْ لاَ يُثِيرُهُ الْعُنْفُ، وَلاَ يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ"، وقال عليه السلام: "ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ وَاخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَايِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِوُجُوهِ صَالِحِ الْأَخْلاَقِ".

وقال أيضًا: "ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ، مِمَّنْ لاَ تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ، وَلاَ تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ، وَلاَ يَتَمَادَى فِي الزَّلَّةِ، وَلاَ يَحْصَرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ، وَلاَ تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ..".

وكثير من الخصال التي وردت كمعايير في الاختيار هي وإن وردت في أصناف مختلفة وطبقات متنوعة، ولكن الغالب عليها هي خصالٌ عامّة تُطلب في الموظف الحكومي، ويبقى لكل صنف من صنوف الوظائف له معاييره الخاصّة بصنفه التي ترتبط بطبيعة عمله.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، ذكرَ الإمامُ عليه السلام معايير اختيار المستشارين، فقال: "وَلاَ تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَيَعِدُكَ الْفَقْرَ وَلاَ جَبَانا يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ وَلاَ حَرِيصا يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ، فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ".

وهذه المعايير نفسها نجدها في اختيار الوالي، قال أميرُ المؤمنين عليه السلام: "وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لاَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوالِيَ عَلَى الْفُرُوجِ وَالدِّماءِ وَالْمَغانِمِ وَالْأَحْكامِ وَإِمامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ، فَتَكُونَ فِي أَمْوالِهِمْ نَهْمَتُهُ، وَلا الْجاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ، وَلاَ الْجافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفائِهِ، وَلا الْحائِفُ لِلدُّوَلِ فَيَتَّخِذَ قَوْما دُونَ قَوْمٍ، وَلا الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ، وَيَقِفَ بِها دُونَ الْمَقاطِعِ وَلاَ الْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الْأُمَّةَ"[1].

وَقَالَ عليه السلام: "لاَ يُقِيمُ أَمْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ إِلا مَنْ لاَ يُصَانِعُ، وَلاَ يُضَارِعُ، وَلاَ يَتَّبِعُ الْمَطَامِعَ"[2].

(١) نهج البلاغة، الخطبة (١٣١).

(٢) نهج البلاغة، الحكمة (١١٠).

المطلب الثاني: الإشكالات المثارة حول تطبيق معايير التوظيف في حكومة الإمام علي عليه السلام

قد يُشكل على بعض الاختيارات لأمير المؤمنين عليه السلام، ويعزى لها سر الاخفاقات كتعيين زياد بن أبيه أو عزل قيس بن سعد المجرب المحنك، وتولية محمد بن أبي بكر الشاب.

وفي الحقيقة هذا الأمر يحتاج إلى معرفة الظروف المحيطة بهذه التعيينات وليس النظر فقط الى الشخص المعيَّن وما حصل بعد تعيينه.

وللشيخ الريشهري في موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كلامٌ مهم في هذه المسألة نورده كاملاً بتصرّف قليل، ففيه الكفاية فيما يثار من إشكالات حول بعض من عيّنهم أمير المؤمنين عليه السلام فخانوا الأمانة، أو لم يكونوا مع أمانتهم على قدر المَهمة التي كُلفوا بها.

"يمكن أن نقسّم ولاته عليه السلام إلى الأقسام الآتية:

١) ولاة مخلصون من أصحاب الكفاءات الإداريّة والمعرفون بحَنكتهم وشخصيّتهم الاجتماعيّة الخاصّة، منهم: مالك الأشتر الذي ولّاه الإمام في البداية على الجزيرة (منطقة بين دجلة والفرات، كانت تتمتّع بأهمّية خاصّة لقربها من الشام). ثمّ استعمله على مصر.

٢) ولاة مخلصون متديّنون ولكن تنقصهم الكفاءة الإداريّة بشكلٍ من الأشكال. فهؤلاء لم يكن لهم باع يُذكر في تدبير الأُمور. ولقد كانوا من الوجهاء، بَيْدَ أنّهم لم يتّخذوا القرار الحاسم في الظروف الحرجة، ولم يتخلّصوا من الأزمات كما ينبغي، منهم: أبو أيّوب الأنصاري، مع جلالته وعظمته، لم يستطع مواجهة بُسر ولاذ بالفرار، وعبيد اللهَّ بن عبّاس ولّى مدبراً أمام بُسر. وعثمان ابن حُنيف فَقدَ حزمه في مواجهة مكيدة الناكثين، وأخفق، فأُلقيَ عليه القبض. وكميل بن زياد لم يُطِق غارات معاوية، فهمّ بالمقابلة بالمثل وتوجّه لشنّ الغارة على مناطق الشام، فلامه الإمام عليه السلام.

٣) الذين ليس لهم عقيدة راسخة، ولا إيمانٍ عميق وإن كانوا ساسة مدبّرين وذوي حسّ إداري فعّال. فهؤلاء لم يتورّعوا عن القبض على بيت المال والتلاعب به إسرافاً وتبذيراً. وقد اشتكى منهم الإمام في الأيّام الأخيرة من حياته، وقال: لو ائتمنتُ أحدَكُم على قدحٍ لأخذَ علاقته.

ومن هؤلاء: زياد بن أبيه؛ فقد تصرّف في بيت المال بنحوٍ غير مشروع، فاعترض عليه الإمامعليه السلام. ثمّ التحق بمعاوية بعد استشهاد الإمامعليه السلام، ولم يَرعَوِ عن ارتكاب الجرائم.

ومنهم: المنذر بن الجارود. عنّفه الإمامعليه السلام لأنّه أباح لنفسه التلاعب في بيت المال أيضاً.

ومنهم: النعمان بن عجلان، لامه الإمامعليه السلام أيضاً بسبب بذله الأموال على قبيلته وتصرّفه غير المشروع فيها لمصلحته، ثمّ فرّ والتحق بمعاوية.

إنّ التأمّل في حياة عمّال الإمامعليه السلام، وتحليل مواقفهم، والنظر في مآل حياتهم السياسيّة، كلّ ذلك ذو بُعدٍ تربوي توجيهي للمرء.

ومن الضروري أن نستعرض في هذا المجال ملاحظات ترتبط بهذا الموضوع:

١) الشخصيّات الفعّالة الموثوق بها كانت قليلة مع الإمامعليه السلام.

وهؤلاء هم الذين كانوا يُنتَدَبون للأعمال في مواطن متنوّعة. وظلّ الإمامعليه السلام في الحقيقة وحيداً بعد استشهاد عدد من عِلية أصحابه في صفّين، وخلا الجوّ من هؤلاء الأعاظم. وعزم الإمامعليه السلام على تسريح هاشم بن عتبة إلى مصر بعد عزل قيس بن سعد، بَيْدَ أنّه كان بحاجة إلى شخصيّته القِتاليّة في صفّين؛ لذا أشخص محمّد بن أبي بكر إليها. وعندما استُشهد هاشم في صفّين، لم يجد بُدّاً إلّا إرسال مالك الأشتر إليها مع حاجته الشديدة إلى وجوده معه في مركز الخلافة الإسلاميّة.

٢) كان بين أصحاب الإمامعليه السلام رجال أُمناء صالحون ووجهاء أُولو سابقة، وهؤلاء كانوا دعائم الحكومة وأعضاد النظام العلَوي. ولا مناص من بقائهم إلى جانب الإمامعليه السلام، إذ كان يشاورهم في شؤون الحكومة، منهم الصحابي عمّار بن ياسر، وكان وجوده مع الإمام ودفاعه السخيّ عنه يقضي على التردّد، ويُثبّت كثيراً من الذين كانت تضعضعهم الدعايات المسمومة التي تبثّها أجهزة الإعلام الأُموي في الشام ضدّ الإمامعليه السلام.

من جانب آخر، كانت هناك قبائل ما زالت العصبيّات القبليّة متأصّلة في نفوسها، فلم تسمع إلّا كلام رُؤسائها. من هنا، ظلّ رجال مثل عديّ بن حاتم إلى جانب الإمامعليه السلام لتبقى قبائلهم معه أيضاً.

٣) إنّ وجود أشخاصٍ مثل زياد بن أبيه بين عمّال الإمامعليه السلام مثير للسؤال، فقد أنفذ الإمامُ الشخصَ المذكور - باقتراح عبد اللهَّ بن عبّاس وتأييد جارية بن قُدامة - على

رأس قوّة عسكريّة كبيرة لإخماد تمرّد أهل فارس الذين امتنعوا عن دفع الضرائب، فاستطاع زياد بتدبيره وحنكته السياسيّة الخاصّة أن يسيطر على الوضع.

كان زياد مطعوناً في نسبه، وكان يتّصف بدهاء عجيب. ويمكن أن نعدّه نموذجاً للإنسان المتخصّص غير الملتزم الذي جمع بين خبث السريرة وظلمة الروح وبين التدبير والدهاء. وإنّ ملازمته لمعاوية مع تحذيرات الإمام المتكرّرة له، وعمله في «العراقَين» مَعْلَمان على خبث طينته ودَنَسه الذي لم يظهره في عصر الإمامعليه السلام.

وينبغي الالتفات إلى أنّ الإمامعليه السلام كان يواجه حقائق لا تُنكَر كغيره من الحكّام. وبالنظر إلى ضرورة إدارة المجتمع واستثمار مختلف الطاقات، وبالنظر أيضاً إلى معاناة الإمامعليه السلام من قلّة الأنصار المخلصين فلابدّ له من تولية زياد وأضرابه، بَيْدَ أنّهعليه السلام كان يقرِن ذلك بالإشراف والتحذير، ويراقب الأوضاع بدقّة. وهنا يكمن السرّ في تحذيراتهعليه السلام للبعض، ودعوته الناس إلى طاعة البعض الآخر طاعة مطلقة.

٤) كان بعض الأشخاص يعملون مع الإمامعليه السلام، لكنّهم كانوا لا يوافقونه في بعض مواقفه!! فزياد لم يشترك في حروبه جميعها. وأبومسعود الأنصاري لم يرغب في الاشتراك في الحروب، وحين نشبت حرب صفّين، وَلِيَ الكوفة وظلّ فيها. ويزيد بن قيس الذي عُيّن والياً على إصفهان كان يميل إلى الخوارج، ففرّق الإمامعليه السلام بينه وبينهم بتعيينه.

هذا كلّه آية على سماحة الإمامعليه السلام من جهة، ومن جهة أُخرى مَعْلَم على ما ذكرناه آنفاً من أنّه كان يواجه حقائق في المجتمع لا محيص له منها"[1].

فتتأرجح أسباب خيانة بعض الولاة في حكومة الإمام عليعليه السلام، وفشل بعضٍ آخر منهم، إلى أنّ قلّة من أصحابه مَن كان يجمع الإيمان والإخلاص لهعليه السلام مع الكفاءة الإدارية والحنكة العسكرية، فيضطر أحيانًا إلى الاعتماد على الكفوئين مع تشخيصه دواخلهم النفسية وتأريخهم الإيماني، فيعتمد عليهم مع الإشراف والمتابعة الدقيقة لهم.

وقد يكون لبعضهم سيرة اجتماعية جيدة، لكنه يفشل في مواجهة إغراءات المنصب، ففي (تاريخ اليعقوبي): بلغ أمير المؤمنينعليه السلام أن النعمان ذهب بمال البحرين، فكتب إليه: **"أما**

(١) ظ: الريشهري، محمد، موسوعة الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام، دار الحديث، إيران – قم، ١٤٢٥هـ، ط٢، ج١٢ ص١١.

بعد، فإنّه من استهان بالأمانة ورغب في الخيانة، ولم ينزه نفسه ودينه، أخلّ بنفسه في الدنيا، وما يشفي عليه بعد أمر وأبقى وأشقى وأطول، فخْفِ الله ! إنّك من عشيرة ذات صلاح، فكن عند صالح الظن بك، وراجع، إن كان حقا ما بلغني عنك، ولا تقلبن رأيي فيك، واستنظف خراجك، ثم اكتب إلي ليأتيك رأيي وأمري إن شاء الله.

فلما جاءه كتاب عليٍّ، وعلم أنه قد علم حمل المال، لحق معاوية"[1].

ومن الأمثلة على قلّة أصحابه ممن يجمع الإيمان الراسخ والحنكة الإدارية والعسكرية كتابهعليه السلام إلى عمر بن أبي سلمة المخزومي وكان عامله على البحرين فعزله، واستعمل النعمان بن عجلان الزُّرَقيّ مكانه:

"أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ اَلنُّعْمَانَ بْنِ عَجْلاَنَ اَلزُّرَقِيَّ عَلَى اَلْبَحْرَيْنِ وَنَزَعْتُ يَدَكَ بِلاَ ذَمٍّ لَكَ وَلاَ تَثْرِيبٍ عَلَيْكَ، فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ اَلْوِلاَيَةَ، وأَدَّيْتَ اَلْأَمَانَةَ، فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ، وَلاَ مَلُومٍ، وَلاَ مُتَّهَمٍ، وَلاَ مَأْثُومٍ، فَلَقَدْ أَرَدْتُ اَلْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ اَلشَّامِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِي، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى جِهَادِ اَلْعَدُوِّ، وَإِقَامَةِ عَمُودِ اَلدِّينِ إِنْ شَاءَ اَللهُ"[2].

(١) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت – لبنان، ج٢ ص٢٠١.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب رقم: (٤٢).

«المبحث الثالث»

تحصين العلاقة السليمة بين الموظف ووظيفته

إرساء الأُسس الصالحة في نفوس الموظفين والمسؤولين، وبناء علاقة سليمة بينهم وبين مواقعهم ووظائفهم، له أهميته البالغة وتأثيره الكبير، لكن هذا لا يعني غلق منافذ الإغواء بالإساءة والاستغلال الوظيفي، فالعلاقة السليمة بين الموظف ووظيفته قد يعتريها الضعف والخَوَر، ومع تزايد الإغراءات الوظيفية والإغواءات المادية تتزايد احتمالية وقوع الموظف في حبال الفساد الإداري والمالي، فكان لا بد من المتابعة للتقييم والتقويم على طول المسيرة الوظيفية، ولا يُترك الموظف والمسؤول حُرًّا بلا رقيب مع ما يقع تحت صلاحياته، أو ما يشكل له إغراءات بسوء استغلال موقعه الوظيفي. من هنا نطالع عن الكثير من الإجراءات الرادعة للموظف المسؤول في عهد الإمام عليه السلام، هي بمثابة تحصين للعلاقة السليمة بين الموظف ووظيفته من الضعف والانهيار، ومن هذه التحصينات:

أولاً: كشف الذمة المالية

تعاملُ المسؤول والموظف بشفافية في أُموره الإدارية والمالية كفيلٌ بإبعاد الظنون والتهم عنه، ورميه بالفساد الإداري أو المالي، أو اتهامه بالتقصير في عمله، قال أمير المؤمنين عليه السلام في عهده لمالك الأشتر: **"وَإِنْ ظَنَّتِ اَلرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفاً فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ وَاِعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ وَرِفْقاً بِرَعِيَّتِكَ وَإِعْذَاراً تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى اَلْحَق"**، والإصحار هو الكشف والمصارحة والشفافية مع المجتمع، ولا يُحدد ذلك بدفع التُّهم بالتقصير أو الظلم، ولا تحدد الشفافية بوقتٍ معين وموقع محدد، بل تعم زمانيًا ومكانيًا. ومن ذلك الشفافية المالية من خلال ما يصطلح عليه بكشف الذمّة المالية، فقد كشف الإمام علي عليه السلام عن ذمته المالية لأهل البصرة. في كتاب الجمل للمفيد روى أبو مخنف عن رجاله قال:

لمّا أراد علي عليه السلام التوجّه إلى الكوفة قام في أهل البصرة، فقال: **"ما تنقمون علي يا أهل البصرة واللهّ إنّها وأشار إلى قميصه وردائه لمن غزل أهلي، وما تنقمون مني يا أهل البصرة واللهّ ما هي** – وأشار إلى صرّة في يده فيها نفقته – **إلاّ من غلّتي بالمدينة، فإن أنا خرجت من عندكم بأكثر ممّا ترون فأنا عند اللهّ من الخائنين"**.

وكشف عن ذمته المالية لأهل الكوفة فقال:

روى بكر بن عيسى قال: كان عليعليه السلام يقول: **"يا أهل الكوفة إذا أنا خرجت من عندكم بغير راحلتي ورحلي وغلامي فلان فأنا خائن"**[1].

وقد كتب لواليه عُثمان بن حُنيف:

"فَوَاللهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً، وَلاَ اِدَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً، وَلاَ أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً، وَلاَ حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شِبْراً، وَلاَ أَخَذْتُ مِنْهُ إِلاَّ كَقُوتِ أَتَانٍ دَبِرَةٍ، وَلَهِيَ فِي عَيْنِي أَوْهَى وَأَوْهَنُ مِنْ عَفْصَةٍ مَقِرَةٍ"[2].

ثانيًا: الكشوفات والتفتيش

قالعليه السلام في عهده لمالك الأشتررضي الله عنه: **"ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ"** وفي ذلك يقول الشيخ شمس الدين في كتابه دارسات في نهج البلاغة: "وكم من كتاب كتبهعليه السلام إلى ولاته يأمرهم أن يلزموا جادة العدل فيمن ولوا عليهم من الناس، وبينما هو يأمرهم بهذا يضع عليهم العيون والرقباء ليرى مدى طاعتهم وتنفيذهم لاوامره. لقد كانعليه السلام، بهذا، أول من اخترع نظام التفتيش.

ولقد كان يكتب إلى ولاته: (إنّ أعظم الخيانة خيانة الأُمّة) وليس الولاة أعضاء في شركة مساهمة هدفها أن تستغل الامة وإنما هم كما كان يكتب إليهم (خزان الرعية، ووكلاء الأُمة، وسفراء الأئمة).

وكون الاموال العامة هي أموال الامة مفهوم لم يأخذ صيغته الحقة إلا على لسان الامامعليه السلام وفي أعماله"[3].

ورفععليه السلام شعار من أين لك هذا، ونجده أخضع الكثير من ولاته وعماله لهذا المبدأ، فمن كلام لهعليه السلام فيما رَدَّه عَلَى الْمُسْلِمينَ مِنْ قَطائِعِ عُثْمانَ: **"واللهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ وَمُلِكَ بِهِ الْإِمَاءُ لَرَدَدْتُهُ، فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً، وَمَنْ ضاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ"**[4].

---

(١) المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢ ص٢٠٠.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب (٤٥).

(٣) شمس الدين، محمد مهدي، دراسات في نهج البلاغة، دار الزهراء للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، ط٢، ص٤٣.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة (١٥).

ثالثًا: الرقابة الحكومية الدائمة والدقيقة

وسبب إفرادنا لهذا العلاج عن العلاج السابق وهو الكشوفات والتدقيق الحسابي، أن هذا العلاج قد يكون أعمّ من سابقه، حيث المراقبة العامة بغية رصد كيفية تعامل المسؤول مع مسؤوليته، ومن شأن هذا العلاج أن يجعل المسؤول في معرض السؤال دائماً، ويكون أداؤه في مرأى ومسمع الجهات العُليا في الدولة، قالعليه السلام:

"وَابْعَثِ اَلْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ اَلصِّدْقِ وَاَلْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي اَلسِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُم عَلَى اِسْتِعْمَالِ اَلْأَمَانَةِ وَاَلرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ".

ومن كتاب لهعليه السلام إلى زياد ابكن أبيه وهو خليفة عامله عبد الله بن عباس على البصرة وعبد الله عامل أمير المؤمنينعليه السلام يومئذ عليها وعلى كور الأهواز وفارس وكرمان:

"وَإِنِّي أُقْسِمُ بِاللهِ قَسَماً صَادِقاً لَئِن بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فَيْءِ اَلْمُسْلِمِينَ شَيْئاً صَغِيراً أَوْ كَبِيراً لَأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ اَلْوَفْرِ ثَقِيلَ اَلظَّهْرِ ضَئِيلَ اَلْأَمْرِ وَاَلسَّلاَمُ"[1].

ومن كتاب لهعليه السلام إلى بعض عماله:

"أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ رَبَّكَ وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ وَأَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ بَلَغَنِي أَنَّكَ جَرَّدْتَ اَلْأَرْضَ فَأَخَذْتَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ وَأَكَلْتَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ فَارْفَعْ إِلَيَّ حِسَابَكَ وَاِعْلَمْ أَنَّ حِسَابَ اَللهِ أَعْظَمُ مِنْ حِسَابِ اَلنَّاسِ"[2].

قال التستري: "أقول: جعله عقد ابن عبد ربه كتابهعليه السلام الى ابن عباس فيما اشتهر عنه من الخيانة لما كان في البصرة، وجعل ما ننقله بعد في العنوان الآتي كتابهعليه السلام إليه بعد رحلته من البصرة الى مكة. فقال: روى أبو مخنف عن سليمان بن أبي راشد عن عبد الرحمن بن عبيد ان ابن عباس مر على أبي الأسود فقال له: لو كنت من البهائم كنت جملاً ولو كنت راعيا ما بلغت. فكتب أبو الأسود الى عليعليه السلام: ان اللهّ جعلك واليا ومؤتمنا وراعيا مسئولا، وقد بلوناك فوجدناك عظيم الأمانة ناصحا للامة توفر لهم فيأهم وتكفّ نفسك عن دنياهم، فلا تأكل أموالهم ولا ترتشي بشيء في أحكامهم، وابن عمك قد أكل ما تحت يديه من غير علمك فلم يسعني كتمانك ذلك.

(١) نهج البلاغة، الكتاب (٢٠).

(٢) نهج البلاغة، الكتاب (٤٠).

قال: فكتب عليه السلام إليه: أما بعد فمثلك نصح الإمام والأُمّة ووالى على الحق وفارق الجور، وقد كتبت لصاحبك بما كتبت إلي فيه ولم أعلمه بكتابك الي، فلا تدع اعلامي ما يكون بحضرتك مما النظر فيه للامة صلاح، فانك بذلك جدير وهو حق واجب للهّ عليك.

وكتب عليه السلام الى ابن عباس: اما بعد، فقد بلغني عنك أمران كنت فعلته فقد أسخطت اللهّ وأخزيت امانتك وعصيت امامك وخنت المسلمين، بلغني انك خربت الأرض وأكلت ما تحت يدك، فارفع الي حسابك واعلم ان حساب اللهّ أعظم من حساب الناس.

وفي (أنساب البلاذري): قالوا واستعمل علي عليه السلام عبد اللهّ بن عباس على البصرة، واستعمل أبا الأسود على بيت مالها"[1].

رابعًا: الرقابة الشعبية المؤثرة

قال عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه: **"وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلاَةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ، وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللهُّ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ"**.

قديمًا قيل: ألسنةُ الرعية أقلامُ الحقِّ سبحانه إلى الملوك، فرقابة الجماهير على الحاكم، وعلى المسؤول، وعلى الموظفين، وعلى أجهزة الدولة، رقابةٌ مؤثرة في تقييم صاحب الموقع وتقويم سلوكه الوظيفي، فالرأي العام عاملٌ ضاغط يتحاشى الحاكم والمسؤول أن يكون ضدّه، ويحاول كسبَه، ويشكل الرأي الجماهيري مصدرًا رئيسًا للضغط السياسي على المؤسسات التنفيذية والسلطات التشريعية، وحتى السلطات القضائية.

قال الشيخ مغنية رحمه الله: "لا سلطان للملوك والأمراء على نوايا الناس وأرواحهم، ولا على ألسنتهم وأفكارهم...، وهم ينطقون بمظالم الحاكم وعيوبه، وبالأمس كنت يا مالك تعيب وتنتقد بعض الولاة، فاجتهد ما استطعت في أن لا تدع سبيلا عليك للقالة والملامة. (وإنما يستدل على الصالحين الخ)، المقياس الصحيح لعدل الحاكم رضا الضعفاء عنه الذين لا عم لهم ولا خال إلا العدل والحق"[2].

---

(١) التستري، محمد تقي، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، دار أمير كبير للنشر، إيران – طهران، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م، ط١، ج٨ ص٢٠٠.

(٢) مغنية، محمد جواد، في ظلال نهج البلاغة، ج٤ ص٤٨

خامسًا: الرواتب المناسبة المجزية

أكّدعليه السلام في عهده للأشترعليه السلام على أن يكون ما يتقاضاه الموظف مناسباً لسدّ حاجته، فقالعليه السلام:

(للقضاة) **ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ وَافْسَحْ لَهُ فِي الْبَذْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ.**

(للعمال) **ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ... أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اِسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ وَغِنىً لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ الَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ.**

وأسلوب الترغيب بالحوافز المادية نادت به الإدارة العلمية، فقد وضع هنري فايول رائد الفكر الإداري في العصر الحديث أربعة عشر مبدأً من مبادئ الإدارة كان من بينها (مبدأ المكافأة والتعويض)، ويتضمن هذا المبدأ أن مكافأة الأفراد ووضع أجورهم بصورة عادلة يعد ركنًا أساسيًّا في العمل، إذ يقتضي بإنصاف العاملين ووضع طرق وإجراءات واضحة لدفع أتعاب الأفراد كل حسب جهده وعمله"[1].

سادسًا: العقوبات الرادعة

من كتاب لهعليه السلام إلى زِيادِ بْنِ أَبِيهِ وَهُوَ خَلِيفَةُ عامِلِهِ عَبْدِ اللهّ بْنِ عَبّاسٍ عَلَى الْبَصْرَةِ وَعَبْدُ اللهّ عامِلُ أَمِيرِ الْمُؤمِنِينَعليه السلام يَوْمَئِذٍ عَلَيْها وَعَلى كُوَرِ الأَهْوازِ وَفارِسَ وَكِرْمانَ:

"وَإِنِّي أُقْسِمُ بِاللهَّ قَسَماً صَادِقاً، لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً صَغِيراً أَوْ كَبِيراً، لَأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ، ثَقِيلَ الظَّهْرِ، ضَئِيلَ الْأَمْرِ وَالسَّلاَمُ"[2].

ومما كتبهعليه السلام في عهده للاشترعليه السلام:

"وَتَحَفَّظْ مِنَ اَلْأَعْوَانِ فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ اِجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ اِكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِداً فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ اَلْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ اَلْمَذَلَّةِ وَوَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ وَقَلَّدْتَهُ عَارَ اَلتُّهَمَةِ".

---

(١) الشلعوط، فريز محمود، نظريات في الإدارة التربوية، مكتبة الرشد، الرياض – السعودية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، ص٣٨

(٢) نهج البلاغة، الكتاب (٢٠).

ومن كتاب لهعليه السلام إلى بعض عمّاله:

"أَيُّهَا اَلْمَعْدُودُ كَانَ عِنْدَنَا مِنْ ذَوِي اَلْأَلْبَابِ، كَيْفَ تُسِيغُ شَرَاباً وَطَعَاماً وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَاماً وَتَشْرَبُ حَرَاماً، وَتَبْتَاعُ اَلْإِمَاءَ وَتَنْكِحُ اَلنِّسَاءَ مِنْ مَالِ اَلْيَتَامَى وَاَلْمَسَاكِينِ وَاَلْمُؤْمِنِينَ وَاَلْمُجَاهِدِينَ اَلَّذِينَ أَفَاءَ اَللَّهُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ اَلْأَمْوَالَ، وَأَحْرَزَ بِهِمْ هَذِهِ اَلْبِلاَدَ، فَاتَّقِ اَللَّهَ وَاُرْدُدْ إِلَى هَؤُلاَءِ اَلْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنَنِي اَللَّهُ مِنْكَ لَأُعْذِرَنَّ إِلَى اَللَّهِ فِيكَ، وَلَأَضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي اَلَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَداً إِلاَّ دَخَلَ اَلنَّارَ، وَاَللَّهِ لَوْ أَنَّ اَلْحَسَنَ وَاَلْحُسَيْنَ فَعَلاَ مِثْلَ اَلَّذِي فَعَلْتَ مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ، وَلاَ ظَفِرَا مِنِّي بِإِرَادَةٍ، حَتَّى آخُذَ اَلْحَقَّ مِنْهُمَا، وَأُزِيحَ اَلْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتِهِمَا.

وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ رَبِّ اَلْعَالَمِينَ، مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَا أَخَذْتَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلاَلٌ لِي أَتْرُكُهُ مِيرَاثاً لِمَنْ بَعْدِي، فَضَحَّ رُوَيْداً، فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ اَلْمَدَى، وَدُفِنْتَ تَحْتَ اَلثَّرَى، وَعُرِضَتْ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ بِالْمَحَلِّ اَلَّذِي يُنَادِي اَلظَّالِمُ فِيهِ بِالْحَسْرَةِ، وَيَتَمَنَّى اَلْمُضَيِّعُ فِيهِ اَلرَّجْعَةَ، وَلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ"[1].

سابعًا: تكريم المخلصين

لا شكّ أن تكريم المخلصين فيه تشجيع على النزاهة، وإشاعة للاستقامة، لأنه سيكون دافعاً للمخلصين النزيهين، ومحفزاً للآخرين أن يحذو حذوهم، ففي عهدهعليه السلام للأشتر رضي الله عنه:

"وَلاَ يَكُونَنَّ اَلْمُحْسِنُ وَاَلْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيداً لِأَهْلِ اَلْإِحْسَانِ فِي اَلْإِحْسَانِ وَتَدْرِيباً لِأَهْلِ اَلْإِسَاءَةِ عَلَى اَلْإِسَاءَةِ".

وقالعليه السلام أيضاً: "وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ اَلثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُو اَلْبَلاَءِ مِنْهُمْ، فَإِنَّ كَثْرَةَ اَلذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ اَلشُّجَاعَ وَتُحَرِّضُ اَلنَّاكِلَ، إِنْ شَاءَ اَللَّهُ تَعالى.

ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ اِمْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى وَلاَ تُضِيفَنَّ بَلاَءَ اِمْرِئٍ إِلَى غَيْرِهِ وَلاَ تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلاَئِهِ وَلاَ يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ اِمْرِئٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلاَئِهِ مَا كَانَ صَغِيرا وَلاَ ضَعَةُ اِمْرِئٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلاَئِهِ مَا كَانَ عَظِيما".

وفي كتاب لهعليه السلام إلى عمر بن أبي سلمة المخزومي وكان عامله على البحرين، فعزله، واستعمل نعمان بن عجلان الزّرقي مكانه: "أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ اَلنُّعْمَانَ بْنِ عَجْلاَنَ اَلزُّرَقِيَّ عَلَى اَلْبَحْرَيْنِ وَنَزَعْتُ يَدَكَ بِلاَ ذَمٍّ لَكَ وَلاَ تَثْرِيبٍ عَلَيْكَ فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ اَلْوِلاَيَةَ وَأَدَّيْتَ اَلْأَمَانَةَ

(١) نهج البلاغة، الكتاب (٤١).

فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ وَلاَ مَلُومٍ وَلاَ مُتَّهَمٍ وَلاَ مَأْثُومٍ فَلَقَدْ أَرَدْتُ اَلْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ اَلشَّامِ وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِي فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى جِهَادِ اَلْعَدُوِّ وَإِقَامَةِ عَمُودِ اَلدِّينِ إِنْ شَاءَ اَللهُ"[1].

وبهذا نختم الحديث عن بناء العلاقةِ السليمة بين الموظفِ ووظيفته، في ضوء عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه، سائلين المولى عزّ وجلّ أن يزيح عن بلادنا ظلّ الفساد بأنواعه، وما يترتب عن العلاقة السيئة بين المسؤول والموظف ووظائفهم، وأن يأخذ بيد المخلصين لتغليب العلاقة السليمة بين المسؤولين والموظفين ومواقعهم الوظيفية، وأن تسود صفة النزاهة والأمانة في دوائر الدولة ومؤسساتها، وتنحسر صفة الفساد والخيانة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

(١) نهج البلاغة، الكتاب (٤٢)

الخاتمة

بعد هذا التطواف في رحاب العهد العَلَوي نخصص خاتمة البحث لاستعراض ما تمخض لدينا من نتائج وتوصيات:

١) النتائج

أولاً: عهدُ الإمام عليٍّ عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه من أهمّ كتبه عليه السلام وأطولها، بل من أهم الوثائق الإدارية في تاريخ الإسلام، فهو متعدد المضامين، فمن أُصول إدارية، إلى حقوق اقتصادية، وقيم اجتماعية وإنسانية، وقواعد قانونية، كل هذا في قوالب بلاغية رفيعة المستوى. وضّح الإمام عليه السلام من خلاله العلاقة بين الراعي والرعية، الراعي متمثلاً بالخليفة والوالي والأمير، والرعيّة متمثلةً بطبقات المجتمع وأفراده.

ثانيًا: لا مشكلة تُذكر في سند العهد، فهو مرويٌّ بطرق معتبرة وأسانيد صحيحة.

ثالثًا: عهد الإمام عليٍّ عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه يدلُّنا بوضوح إلى الترابط الوثيق بين النظرية الإدارية الإسلامية وبين المنظومة الأخلاقية الإسلامية ونظريته في البناء النفسي.

رابعًا: عهد الإمام عليٍّ عليه السلام يعبّر عن تجربة ضخمة ورؤية ثاقبة في إدارة الدولة عند الإمام علي عليه السلام ومحاربة ما ينخر في أجهزتها، ويعثّر مسيرتها في طريق النهوض والتقدم.

خامسًا: العهد العَلَوي وإن كان كتبه الإمام عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه، ولكن هو عابرٌ للأشخاص والمكان والزمان، فهو غير مختص بالأشتر، ولا يقتصر على مِصر، ولا يحدد بتلك الفترة الزمنية، بل يمكن أن نعبّر هنا أن المورد لا يخصص الوارد، فهو صالحٌ للانتفاع به في النظام الإداري في كل زمان ومكان.

سادسًا: هناك جملة من الحلول والعلاجات الوقائية لمشكلة الاستغلال الوظيفي من قبل المسؤول والموظف حفل ببيانها العهد العَلَوي، وتناولناها من خلال زاوية العلاقة بين المسؤول والموظف بمواقعهم الوظيفية، فمن الضروري اعتماد العهد كوثيقة مرشدة إلى مواجهة هذه المشكلة، بل المعضلة.

٢) التوصيات:

أولاً: إشاعة الثقافة الإدارية من المنظار الإسلامي الأصيل والنقي المتمثل بما جاء عن الإمام عليّ عليه السلام، خصوصًا عهده عليه السلام لمالك الأشتر، من خلال وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي، والندوات التثقيفية والمؤتمرات العلمية.

ثانيًا: إدخال نصوص من عهد الإمام عليّ عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه في المناهج الدراسية في المستويات التعليمية كافة بغية تنشئة الجيل على مفاهيمه السامية.

ثالثًا: ضرورة أخذ هيئة النزاهة الاعتناء بفكر الإمام علي عليه السلام الإداري على عاتقها، وخصوصًا ما جاء في العهد العَلَوي؛ لما له من تأثير نفسي وروحي على القطاع الوظيفي العام والخاص وانعكاساته في شيوع ثقافة النزاهة وترسيخ مفهوم حفظ الأمانة.

رابعًا: ضرورة إقامة دوائر الدولة ومؤسساتها الندوات والمحاضرات حول العهد العَلَوي لما فيه من تقييم عملها وتقويم مسيرتها وإرشاد موظفيها وتطويرهم، وهذا الأمر ينهض به المخلصون النزيهون من المديرين والمسؤولين ممن يريد لهذه المفاهيم السامية أن تنتشر وتسود.

خامسًا: ضرورة ترويج عبارات ثمينة هادفة من عبارات العَهد العَلَوي، وجعلها في لوحات تزيينية في أروقة الدوائر والمؤسسات، بل في الساحات العامة ومداخل المدن، كعبارة: **"وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ اَلرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَاَلْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاَللُّطْفَ بِهِمْ، وَلاَ تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي اَلدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي اَلْخَلْق"**.

المصادر

- القرآن الكريم.
- نهج البلاغة.

١) **ابن فارس**، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، إيران – قم، ١٤٠٤هـ.

٢) **الآصفي**، محمد مهدي، الثقافة القيادية والإدارية عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، العتبة العلوية المقدسة، ١٤٣٢ه – ٢٠١١م.

٣) **التستري**، محمد تقي، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، دار أمير كبير للنشر، إيران – طهران، ١٤١٨ه – ١٩٩٧م، ط١.

٤) **الثقفي الكوفي**، إبراهيم بن محمد، الغارات، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، طبعة أوفست في مطابع بهمن.

٥) **الحسيني الجلالي**، محمد حسين، فهرس التراث، تحقيق: محمد جواد الحسيني الجلالي، دليل ما، إيران – قم، ١٤٢٢هـ – ١٣٨٠هـ، ط١.

٦) **الدينوري**، ابن قتيبة، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربي، ١٩٦٠م.

٧) **الراغب الأصفهاني**، مفردات ألفاظ القرآن، طليعة النور، إيران – قم، ١٤٢٧هـ، ط٢.

٨) **الريشهري**، محمد، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، دار الحديث، إيران – قم، ١٤٢٥هـ، ط٢.

٩) **الشامي**، حسين، البرنامج الأمثل لإدارة الدولة وقيادة المجتمع في عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر، جامعة الإمام الصادق عليه السلام، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م، ط٢.

١٠) **الشلعوط**، فريز محمود، نظريات في الإدارة التربوية، مكتبة الرشد، الرياض – السعودية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

١١) **شمس الدين**، محمد مهدي، دراسات في نهج البلاغة، دار الزهراء للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م، ط٢.

١٢) **الطوسي**، أبي جعفر محمد بن الحسن، الفهرست، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، شعبان المعظم ١٤١٧هـ، ط١.
١٣) **الفكيكي**، توفيق، الراعي والرعية، مطبعة الغري، النجف الأشرف، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م.
١٤) **اللجنة العلمية** في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، موسوعة طبقات الفقهاء، إشراف: جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ١٤١٨هـ.
١٥) **المعتزلي**، ابن أبي الحديد، دار إحياء الكتب العربية، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م، ط١.
١٦) **مغنية**، محمد جواد، في ظلال نهج البلاغة، انتشارات كلمة الحق، ١٤٢٧هـ، ط١.
١٧) **النجاشي**، أبو العباس أحمد بن علي، فهرست أسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١٦هـ، ط٥.
١٨) **اليعقوبي**، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت – لبنان.

البحوث المشاركة